# بالمحبة يبنى السلام

الأب أيوب شهوان

## مقدمة

لدى قراءتنا رسائل القديس بولس يتبيّن لنا أن رسول الأمم هو الأكثر تطرّقًا، بين كتّاب العهد الجديد، إلى موضوع السلام؛ فهو، مثلاً، مُطْلِقُ القول: "إله السلام"، مع ما لهذه العبارة من جذور عميقة، ومن امتدادات غنية. فللسلام أساسه اللاهوتي، ومفاهيمه البشرية، ونماذجه المختلفة، وارتباطه بمواضيع أخرى مرادفة، مبدئية وعملية، ودوره الخلاصي المُقَدِّس.

## ١ – "إله السلام"

يستعمل بولس هذا التعبير ست مرات في رسائله: روم ١٥:٣٣؛ ١٦:٢٠؛ ٢ كو ١٣:١١؛ فيل ٤:٩؛ ١ تس ٥:٢٣؛ ٢ تس ٣:١٦ حيث نجد، بدلاً من كلمة "إله" كلمة "الرب". لا نصادف هذا التعبير في العهد القديم، ولا في الأدب الهلّيني الكلاسيكي. هناك بالمقابل نصٌّ في **كتاب وصيّات الآباء الاثني عشر**، وبالتحديد في **وصية دان** ٥:٢، حيث نقرأ: "وتكونون في سلام، لأنّ **إله السلام** معكم، ولا تعود الحرب تضايقكم"[١]. لكن ينبغي أن نميّز بين هذا المنحول وبين بولس: ففي الأول، ليس إطار التعبير "إله السلام" لاهوتيًا، كما هو الحال عند بولس. هناك أيضًا أمر ملفت عند فيلون الإسكندري يتعلّق بالتعبير الذي نحن بصدده، ألا وهو: "الله وحده سلام، من دون أي خداع، ويحفظ الحقيقة، في حين أن كل مخلوق قابل للفساد هو مُرْغَم على الجهاد"[٢]؛ لكن المقصود هنا هو ما يفيد لاطمئنان النفس أو نقيضُه، وبالتالي التعبير هو في إطار لاهوتي، كما عند بولس. لذلك يمكننا الجزم بأن التعبير "إله السلام" هو من إبداع بولس الرسول، وبأنه بالتالي نموذجي وفريد، إذ أنه لا يَرِدُ عند أيٍّ من كتّاب العهد الجديد، بالرغم من وجود صيغة مماثلة في عب ١٣:٢٠، لكن من المحتمل أن تكون عب ١٣:٢٠ قد استلّته من بولس، وهذا ليس بالمستبعَد.

من الواضح أن بولس لا ينطلق من ظاهر الكلام ليبلغ هدفًا ما معيّنًا في رسائله، بل من التأكيد على وجود أساس إلهي لكل ما يعلن وما به يبشّر. هكذا لا يعود السلام عملاً بشريًا وحسب، بل إنه عطية من علو، مؤسَّسةٌ على مشيئة الله التي لا

---

١– رج بولس الفغالي، **كتاب وصيّات الآباء الاثني عشر** (سلسلة "على هامش الكتاب"؛ منشورات الرابطة الكتابية، لبنان، ٢٠٠٠) ١٠٥–١١٤، خاصة ١١٠ حيث يترجم الفغالي كما يلي: "تكونون في سلام وتملكون إله السلام (ملاحظة ١٣ في أسفل الصفحة :ق روم ١٥:٣٣؛ ٢ كو ١٣:١١)، ولا تنتصر الحرب عليكم".

٢– Philon d Alexandrie, *De Somniis* 2,253

تريد موت الإنسان بل السلام والحياة له. فالله الذي يعطي الحياة، يلتزم بالحفاظ عليها وبتنميتها من خلال بسط سلامه على الجميع. السلام إذًا هو ذو مصدر إلهي، شاءه الله مالئًا الأرض كلّها، هو الذي لديه "فقط مشاريع سلام وليس مشاريع ويلٍ" (إر ١١:٢٩). هذا ما ينادي به بولس الذي يوجز وبشكل بديع فكرته حول السلام بقوله: "ليس الله إله فوضى، بل إله سلام" (١ كو ٣٣:١٤). هذا يعني أن السلام مرادف بامتياز للاستقرار وللنظام في جماعة ما، مثلاً، وهذا يسمح بالاستنتاج بأن السلام مرادف أيضًا وخاصة للمحبة، كما نستخلص من نشيد المحبة في ١ كو ١٣. وهنا نصل إلى مسألة ثالثة أساسية في هذا السياق، ألا وهي الصلاة، لأن مَن يصلي يتحوّل إلى مُحِبٍّ وإلى صانع سلام، لأنه يصبح مملوءًا من الروح القدس المُلهِم، والمُحكِّم، والمقوّي. وحدهم المنقادون بروح الله هم أبناء الله، هم أحرار، ومن ثَمَّ هم صانعو سلام وفق إرادة "إله السلام".

ونلاحظ أن بولس يستعمل التعبير "إله السلام" في مستهل رسائله في الغالب أو في ختامها؛ مثلاً: "إله السلام يكون معكم" (روم ٣٣:١٥؛ رج ٢ كو ١١:١٣؛ فيل ٩:٤)؛ "إله السلام يقدسكم جميعاً" (١ تس ٢٣:٥)؛ "إله السلام يسحق الشيطان سريعًا تحت أقدامكم" (روم ٢٠:١٦)؛ وفي عب ٢٠:١٣-٢١: "يجعلكم أهلاً لأن تتموا إرادته في كل خير". والصيغة الأهم والنموذجية هي في ٢ تس ١٦:٣: "فليعطكم السلامَ إلهُ السلام، في كل وقت وفي كل طريقة". نستنتج من هذه الصيغ أنها تضجّ بالمعاني الهامّة، أي: التقديس التام، وسحق الشيطان، وتثبيت كل خير، ونشر سلامٍ ثابت وشامل.

## ٢ - "إنجيل السلام"

بالمعنى المسيحي للكلمة، السلام هو مهمّة يقوم بمسؤوليتها وبأعبائها المؤمنون بالمسيح وبرسالة السلام التي بشّر بها. في الواقع، المسيحي "مدعوّ" إلى السلام: "وليملك سلام المسيح في قلوبكم، السلام الذي إليه دُعيتم في جسد واحد" (كول ١٥:٣؛ رج ١ كو ١٥:٧). إنه عطية من ربّ السلام، يتلقاها المؤمن، وعليه أن ينقلها إلى الآخَرين، الأمر الذي يفسّر معنى العبارة "إنجيل السلام"[٣] (أف ١٥:٦)، أي "التبشير" به. في الحقيقة، يتأسس السلام على المسيح ويتجذر فيه. فبالمسيح الوسيط (روم ١:٥) "صالح اللهُ الكلَّ له، صانعًا السلام بدم الصليب" (كول ٢٠:١)؛ "إنه هو سلامنا" (أف ١٤:٢)، ونحن نحصل على هذا السلام لأننا "مبرَّرون بالإيمان" (روم ١:٥).

انطلاقًا من التحية التي بها يتوجّه بولس إلى قارئيه في مستهل رسائله: "النعمة لكم والسلام من الله الآب، والرب يسوع المسيح" (روم ٧:١؛ ١ كو ٣:١؛ ٢ كو ٢:١؛ غل ٣:١؛ أف ٢:١؛ فيل ٢:١؛ كول ٢:١؛ ٢ تس ٢:١؛ ١ تيم ٢:١؛ ٢ تيم ٢:١؛ تيط ٤:١؛ فلم ٣)، نلاحظ أن بولس يربط بـ"الله الآب"، ليس فقط "النعمة"، بل أيضًا "السلام"؛ لذا فـ"سلام الله، الذي يفوق كلَّ فهم، يحفظ قلوبكم وأفكاركم، في المسيح يسوع" (فيل ٧:٤). إنه بالتالي سلام متجذر في سر الله الذي لا يُدرَك، "القادر أن يعمل وفق قوته العاملة فينا ما يتخطّى كلّ شيء، أكثر وأبعد مما نسأل أو نتصوّر" (أف ٢٠:٣).

إن سلام الله هو سلام "أبي ربنا يسوع المسيح" (أف ٣:١؛ ٢ كو ٣:١)، ويحمل قسمات يسوع بالذات، لذا فهو مسيحاني بامتياز.

من البديهي أن يكون يسوع المسيح في قلب البشارة ليكون الإنجيل حقًّا "إنجيل السلام"؛ توضح هذا التأكيدَ نصوصٌ ثلاث من بولس، هي التالية: روم ٥:١٥[٤]؛ كول ١:٢٠[٥]؛ أف ٢:١٤-١٦[٦]. نذكّر أن صيغ التحيات في الرسائل الثلاث المذكورة، تجمع بطريقة نموذجية بين الله وبين يسوع: "من الله الآب، ومن يسوع المسيح ربنا" الذي "جاء بشركم بالسلام، أنتم البعداء، وبشّر بالسلام الأقرباء" (أف ١٧:٢). يرتكز التبشير بـ"إنجيل السلام" على تقدمة المسيح ذاته ذبيحة على الجلجلة، أي أنه دفع ثمن سلامنا غاليًا، وهذا ما نتبيّنه من تكرار كلمات "موت"، و"دم"، و"صليب" (روم ١٠:٥-١٠أ؛ كول ٢٠:١؛ أف ١٤:٢-١٦)،

---

٣- "إذًا فاثبتوا، متنطّقين بالحق، لابسين درع البر، ناعلين أقدامكم باستعداد إنجيل السلام" (أف ١٤:٦-١٥؛ رج ١٧:٢).

٤- "إذًا، وقد برِّرنا بالإيمان، فلنا سلامٌ مع الله بربّنا يسوع المسيح" (روم ١:٥).

٥- "... مسالمًا بدم صليبه ما على الأرض كان أم في السماوات" (كول ٢٠:١).

٦- "فإنه هو سلامنا، هو جعل الاثنين واحدًا، وفي جسده نقض العداوة، الجدار الأوسط الفاصل" (أف ١٤:٢).

مقابل ندرة استعمال كلمات تتعلق بـ"القيامة" (روم ٥:١٠ب). بالإضافة إلى ذلك، تبرز كول ١:٢٠ اللهَ أنه الفاعل الأول في عملية السلام. بالمقابل، في أف ٢:١٤ وما يلي، تبدو صورة المسيح وعمله أنهما في الواجهة؛ فبعد أن أكّد بولس أنه "سلامنا" (٢:١٤أ)، يوردُ عدةَ أفعال فاعلُها المسيح (آ ١٤ب-١٧)، والعمل الذي حققه هو فعلُ "خَلْق"[٧] (آ ١٥ب)؛ هنا يظهر المسيح أنه الفاعل الأول لخلقٍ يصفه الرسول بأنه "جديد" (أف ٢:١٥؛ رج غل ٦:١٥؛ ٢ كو ٥:١٧)، تحقق بدم يسوع المسفوك على الصليب. هذا يُفهمنا السببَ الذي لأجله يتكلّم بولس على "سلام المسيح": "وليملك **سلام المسيح** في قلوبكم"، كول ٣:١٥)، أي أن المسيح هو صانع سلام العهد الجديد، وهو ضامنه، لكونه أعطى العالم "سلامه" هو، ليس كالسلام الذي يعطيه العالم: "سلامًا أترك لكم، سلامي أعطيكم. ولست كالعالم أعطي" (يو ١٤:٢٧). هكذا يمر "**سلام الله**" **بموت "المسيح"**، ويصبح سلامًا "كريستولوجيًا" فريدًا. ولأنه **سلامٌ يتجذّر في الصليب**، باستطاعتنا التأكيد أن "سلام المسيح" مبني على تضحيةٍ، هي الأقصى، قدّمها يسوع بالذات عن الكثيرين.

ويضيف بولس أمرًا جديدًا، ألا وهو أن **السلام هو "ثمرة الروح"**: "أما ثمر الروح فمحبة، وفرح **وسلام**" (غل ٥:٢٢؛ رج روم ١٤:١٧: "الفرح والسلام"). لقد حقق الروح ما عجزت عنه الشريعة. المقصود هنا هو بالطبع روح الله، وتحديدًا "روح الابن": "فلأنّكم أبناء، أرسل الله إلى قلوبنا روحَ ابنه صارخًا "أبَّا"، أيها الأب" (غل ٤:٦). في لائحة ثمر الروح المكوّنة من تسعة عناصر، يضع بولس "السلام" في المرتبة الثالثة، أي بعد "المحبة والفرح"، لعلمه أن "المحبة" عامل أساسي في صنع "السلام". وفي ١ كو ١٤، السلام الذي ينادي به بولس هو مرتبط حتمًا بالروح الذي يوزع المواهب على المؤمنين. كذلك في روم ٨:٦، يقول بولس: "تفكير الروح حياة وسلام". هكذا، كل الذين ينقادون بروح الله، يكونون في سلام، ويَهَبون السلام (رج روم ٨:١٤).

## خاتمة

ممّا تقدّم، ولأنّ العالم متعطّش إلى السلام، ولأنّ "جدار العداوة" يرتفع من وقت إلى آخر في هذه البقعة من الأرض أو تلك، ولأنّ أبناء الله هم بُناة السلام، فبمستطاع هؤلاء -على مثال المعلم- أن "يهدموا جدران العداوة"، ويشيّدوا صروح السلام في العالم كله.

**أوجه التشابه بين أفسس وكولوسي**

| أفسس | كولوسي |
|---|---|
| تحية ١:١-٢ | تحيّة ١:١-٢ |
| بركة ١:٣-١٤ | شكر للكولوسيين ١:٣-٨ |
| شكر وصلاة ١:١٥-٢٣ | صلاة لأجل الكولوسيين ١:٩-١٤ |
| نتائج الحياة مع المسيح ٢:١-١٠ | تطبيق النشيد على الوضع في كولوسي ١:٢١-٢٣ |
| وحدة اليهود والأمم المخلوقة بالمسيح ٢:١١-٢٢ | سلطة بولس في اللاذقية واللاذقيّة ١:٢٤-٢:٧ |
| الرسول كمفسّر للسرّ الإلهي ٣:١-١٣ | مناقشة مع الخصوم : قوة المسيح القائم ٢:٨-١٥ |
| صلاة وتمجيد ٣:١٤-٢١ | مناقشة الخصوم: تحذيرات ضد ممارسات صوفيّة ٢:١٦-٢٣ |
| وحدة الروح ٤:١-١٦ | حياة جديدة على ضوء القيامة ٣:١-٤ |
| أبناء المعصية وأبناء النور ٤:١٧-٢٠:٥ | خطوط توجيهية خلقية لحياة جديدة ٣:٥-١٧ |
| علاقات المؤمنين البيتية ٥:٢١-٦:٩ | علاقات المؤمنين البيتية ٣:١٨-٤:١ |
| القيام بمعركة مع الشرير ٦:١٠-٢٠ | صلاة ورسالة واتصال بالذين هم في الخارج ٤:٢-٦ |
| خلاصة : أمور خاصة وبركة أخيرة ٦:٢١-٢٤ | خلاصة : ملاحظات خاصة وتحيات ٤:٧-١٨ |

٧- "فأبطل شريعة الوصايا بما فيها من فرائض، ليخلق الاثنين فيه إنسانًا واحدًا جديدًا، منشئًا بينهما سلامًا" (أف ٢: ١٥).